لاسلوب الترقي في بيان التفضيل كانه بين اولا تفضيل قلوبهم في القساوة
على الحجارة التي يتأثر تأثرا يترتب عليه منفعة عظيمة من تفجر الانهار ثم على
الحجارة التي يتأثر تأثرا ضعيفا يترتب عليه منفعة قليلة ثم على الحجارة
التي تتأثر من غير منفعة فكانه قيل قلوب هؤلاء اشد قسوة من الحجارة لانها
لا تتأثر بحيث يترتب عليه المنفعة العظيمة بل الحقيرة بل لا يتأثر اصلا وبما ذكرنا
ظهر نكتة ذكر تفجر الانهار وخروج الماء وترك فائدة الهبوط وقال الطيبي
ان الآية واردة على وزان قوله تعالى الرحمن الرحيم في ان قصد التتميم دون الترقي
وفائدته استيعاب جميع الانفعالات التي على خلاف طبيعة الحجر وهو ابلغ من
الترقي ويرد عليه منع افادته لاستيعاب جميع الانفعالات قوله انقيادا
لما اراد الله تعالى به الظاهر من خشية الله تعالى متعلق بالافعال الثلثة فالوجه أنّ م
ان يجعل انقيادا معمولا ليتشقق ويهبط على التنازع ولو قال بدل بدونها
ليكون راجعا الى الحجارة معمولا ليتأثر لكان نصا في تعلقه بالافعال الثلثة
قوله والتفجر التفتح سعة وكثرة التفتح كذا ذكره الشارح ان والسعة مأخوذ في جوهره
والكثرة مستفادة من بناء التفعل والمراد بالانهار الماء الكثير الذي يجري في الانهار
كما في كلام الامام اما على حذف المضاف او ذكر المحل وارادة الحال او الاسناد
المجازي كما ذكره المص رحمه الله تعالى في قوله تعالى تجري من تحتها الانهار ولما لم يتعرض
ههنا وحملها على معناه الحقيقي وهم اذ التفتح لا يمكن اسناده الى الانهار اللهم
الا بتضمين معنى الحصول بان يقال يتفجر ويحصل منه الانهار على ان تفجر الحجارة
بحيث يصير نهرا غير معتاد فضلا عن كونها انهارا قوله والخشية مجاز عن الانقياد
اطلاق الاسم الملزوم على اللازم ولم يحملها على الحقيقة باعتبار خلق العقل والحيوة
لان الهبوط والخشية على تقدير خلق العقل والحيوة لا يصلح بيانا لكون الحجارة
في انفسها اقل قسوة قيل قلوبهم انما تمتنع عن الانقياد لامر التكليف بطريق القصد
والاختيار ولا يمتنع عما يراد بها على طريق القسر والالجاء كما في الحجارة وعلى هذا
لا يتم ما ذكره فالاولى حملها على الحقيقة والجواب ان المراد ان قلوبهم اقسى
من الحجارة لقبولها التأثر الذي يليق به وخلقت لاجله بخلاف قلوبهم

فانها

فانها تمتنع عن التأثر الذي يليق به وخلقت له وما قيل من ان ما رأوه من
الآيات مما يقشعر القلب ويلجئه الى التأثر فان اراد به المبالغة في الدلالة على
الصدق فلا ينفع وان اراد به حقيقة الالجاء فممنوع والا لما تخلف عنها
التأثر ولما استحق من آمن بعد رؤيتها الثواب لكون ايمانه اضطراريا قوله
وعيد على ذلك سواء قرئ بصيغة الخطاب او الغيبة ولذا تعرض لبيان القرائتين
كانه قيل ان الله لبالمرصاد ولهؤلاء القاسية قلوبهم حافظ لاعمالهم محص لها
فهو مجازيهم في الدنيا والآخرة قوله بالياء التحتانية ضما الى ما بعده اي قوله ان
يؤمنوا ويسمعون وفريق منهم وفي بعض النسخ بالتاء الفوقانية وهو سهو
لمخالفته كتب القراءة ولان الخطاب جار على الاسلوب السابق في قلوبهم
ثم قست قلوبكم فلا معنى لقوله ضما الى ما بعده وما قيل معناه ضما الى قوله افتطمعون
بان يكون الخطاب في تعملون للمؤمنين وعدا لهم ففيه انه لا وجه لذكر وعد المؤمنين
تذييلا لبيان قبائح اليهود والاوجه ان يكون قوله وعيد على ذلك مختصا بقراءة الغيبة
فالواجب الاكتفاء على ذكر قراءة الخطاب وترك قوله الباقون بالياء
كما هو دأبه قوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم الآية الاستفهام للانكار التوبيخي
او الاستبعاد والجملة معطوفة على قوله ثم قست قلوبكم او على مقدر اي تحسبون
قلوبهم صالحة للايمان فتطمعون الخ قوله ان يصدقوكم اي الضمير مفعول يؤمنوا
والايمان بالمعنى اللغوي والتعدية باللام بتضمين معنى الاقرار والاستجابة
كما في قوله تعالى فآمن له لوط اي صدقه واقر له ولكون التضمين بابا واسعا
لم يتعرض قوله او يؤمنوا لاجل دعوتكم فيؤمنوا منزل منزلة اللازم والمراد به المعنى
الشرعي واللام لام الاجل قوله يعني اليهود الخ بيان للضمير يؤمنوا والمراد به اليهود المعاصرون
للرسول صلى الله عليه وسلم لانهم المطموع ايمانهم والمذكورون بطريق الخطاب فيما مر
من اول القصة اعني قوله يا بني اسرائيل الى قوله ثم قست قلوبكم الا ان الجنس يصحح جعل السالفين
فريقا منهم على ما قيل اذ يصح ذلك بتقدير المضاف كما اشار المص بقوله من اسلافهم
بدون ارتكاب ذلك التكلف قوله طائفة من اسلافهم فسر الفريق بالطائفة لانه يجيء
بمعنى الرجل ايضا والاسلاف جمع سلف محرك جمع سالف من السلوف بمعنى

فيكون في قوله يعملون التفات من الخطاب الى الغيبة والنكتة
تحقيرهم وتبعيدهم عن الحضور صح

Copyright © King Saud University